نحو فلسفة نقدية لعلمنة مناهج الدراسات النقدية العربية في ضوء معطيات علم النص والخطاب

الكلمات المفتاحية: (فلسفة نقدية– مناهج الدراسات النقدية– النقد والخطاب)

أ. حسين عمر دراوشة
جامعة غزة: كليّة الآداب: فلسطين
hussien2013333@hotmail.com
أ. عبد الكريم حسين الشرعة
جامعة آل البيت : الأردن
abdalkareem.shra@yahoo.com

الملخص

يدعو هذا البحث إلى إيجاد فلسفة نقدية لعلمنة مناهج الدراسات النقدية العربية في ضوء معطيات علم النص وتحليل الخطاب، ورسم رؤية وبناء مقترح لتحقيق فلسفة نقدية استراتيجية تخدم الدراسات العربية بصورة أو بأخرى، وذلك من خلال تسليط الضوء على مفهوم النص والخطاب النقدي، والكشف عن العلاقة بين النص بين المؤلف والناقد، والحديث عن مناهج قراءة النصوص في الدراسات النقدية بين القدماء والمحدثين، وبيان انعكاسات المناهج النقدية في الدراسات العربية عند القدماء والمحدثين على النص المبدع، ومن ثم توضيح معالم فلسفة علمنة النقد في الدراسات النقدية العربية في ضوء معطيات علم النص وتحليل الخطاب، ومن ثم إطلاق توصيات من شأنها أن تسهم في إيجاد فلسفة نقدية استراتيجية لعلمنة المناهج في الدراسات النقدية العربية في ضوء معطيات علم النص وتحليل الخطاب، ثم نتائج البحث وتوصياته، وحواشي البحث، وفهرس للمصادر والمراجع.

المقدمة

يرتبط النقد في مهمته الأساسية بتذوق الأشياء والحكم عليها وفق أصول علمية صحيحة وسليمة، تسهم في الكشف عن القيم الجمالية والفنية والموضوعية الكامنة في ثنايا النص، فالنص يتكون من ألفاظ وكلمات وعبارات وتراكيب وصور وأساليب مختلفة، فعلماؤنا الأوائل كانت لهم وسائلهم الإبداعية ومناهجهم النقدية في سبك النصوص وقراءة مدلولاتها، أما في العصر الحديث وفي ظل متغيراته، أتيح للناقد والمتلقي إمكانات فريدة وأدوات عديدة لقراءة النص وسبر مدلولاته، ومن هنا ظهرت استراتيجيات قرائية تحمل مسميات كثيرة توحي

بالفوضى والتيه الذي تشهده الساحة الثقافية والنقدية في عصر السرعة والانفجار المعرفي والثورة المعلوماتية، وفي ظل ازدياد التلاقح الفكري واتساع صدام الحضارات واتصالاتها المتنامية، لذا جاء هذا البحث ليرسم تصور مقترح حول فلسفة نقدية لعلمنة مناهج الدراسات النقدية العربية في ضوء معطيات علم النص وتحليل الخطاب، وذلك من خلال المباحث التي ستأتي تباعا.

وتتمثل أهمية البحث في أنه يضع أفقا ويرسم تطلعات ويطلق توصيات من أجل إيجاد فلسفة نقدية لعلمنة مناهج الدراسات النقدية العربية في ظل تطور علم النص وتعدد فروعه وتطبيقاته، ويهدف هذا البحث إلى رسم مقترح وطرح رؤية نقدية لعلمنة مناهج الدراسات النقدية العربية في ضوء معطيات علم النص وتحليل الخطاب، وإضافة دراسة جادة جديدة لمكتبة مناهج النقد في الدراسات النقدية العربية، وتوضح كل ما سبق بالوصف والتحليل والدراسة، وأسأل الله السداد في القول والتوفيق في العمل.

المبحث الأول: النص والخطاب النقدي

يرتبط النص بالخطاب ارتباطاً وثيقاً، يجسد في مجمله بناء لغويّا متراكما، تشترك في إنتاجه وإعادة خلقه وتكوينه أقطاب الدائرة الإبداعية وتفاعل في ثناياه؛ ويمكن بيان العلاقة بين النص والخطاب النقدي في النقاط الآتية:

المطلب الأول: الخطاب والنص

يرى كثير من الباحثين أن الخطاب والنص مصطلحان مترادفان، فهما بمعنى واحد، ويدلان على مفهوم واحد، أذكر على سبيل التمثيل: زيليخ هارس، فهو في تحديده لمفهوم الخطاب لم يفرق بين الخطاب والنص، فقد نظر إلى الخطاب عن طريق النظر إلى النص، وقد سبق ذكر ذلك، وكذلك روبرت شولز، وبنفنست، ويذكر سعيد يقطين:" أن كل السرديين الذين يقفون عند الحد اللفظي للحكي (جينيت–تودروف– فاينريش) لا يميزون بين الخطاب والنص"[١]، وكذلك "جاهن كوهن" في كتابه بينية اللغة الشعرية إذ يستعملهما بمعنى واحد[٢]، ويذهب فريق آخر إلى التفريق بين النص والخطاب، على أساس فلسفي يصل إلى درجة الغموض والإبهام في كثير من الأحيان؛ ومن هؤلاء بول ريكور الذي يرى أن الخطاب إذا ثبت كتابةً يصبح نصاً، يظهر في قوله:" ألا فلنسم نصاً كل خطاب ثبتته الكتابة"[٣]، ونتيجة لهذه المقولة اندفع لتأسيس نظرية للحدث الكتابي تميزه عن طريق معرفة ما إذا كانت الكتابة

سابقة على الوجود بالفعل بشكل افتراضي لحيوية الكلام، ودفعه هذا الافتراض إلى التساؤل: ماذا عن العلاقة بين النص والكلام؟[٤]، إن الكلام عند ريكور سابق للكتابة، وبناءً على ذلك، فالخطاب أسبق من النص، إن المسألة عند ديكور مسألة زمنية شكلية لا غير.

إذا كان ريكور قد ربط بين النص والخطاب بالكتابة، فإنّ "فان ديك" قد ربط التفرقة بين النص والخطاب بالاتجاه البراجماتي، فالخطاب عنده" هو في آن واحد فعل الإنتاج اللفظي ونتيجته الملموسة والمسموعة والمرئية"[٥]، أي أنه سلسلة من الأفعال الكلامية كل منها يلقي ضوءاً على الآخر[٦]،أما النص فهو: وحدة مجرد لا تتحدد إلا من خلال الخطاب كفعل تواصلي، وهذا الاتجاه يعني أن النص هو الوحدة التي لا تتحقق إلا عن طريق ربطها بسياقها، وهذا الربط السياقي يوفره الخطاب؛ لأنه فعل تواصلي[٧]، ويفرق سعيد يقطين بين الخطاب والنص السَّرديين باعتبار أن" الخطاب مظهر نحوي يتم إرسال القصة، وإن القصة مظهر دلالي يتم من خلاله إنتاج المعنى من لدن المتلقي"[٨]، هذا التفريق فيه شيء من الغموض، كما أنه يركز على جانب واحد في كل من النص والخطاب، وهو المظهر النحوي أو المظهر الدلالي، فالخطاب مظهر نحوي، والنص مظهر دلالي، وفي الحقيقة نجد المظهرين معاً في كل واحد منهما. فالعلاقة بين النص والخطاب علاقة جدلية تلازمية، ومن الصعب الفصل بينهما، إن الخطاب جزء من النص، والنص يضم مجموعة خطابات في الوقت نفسه، كما أنه يضم مجموعة من النصوص، والخطاب هو الذي يشكل النص، ولولا الخطاب لما كان النص نصاً أصلاً.

المطلب الثاني: الخطاب النقدي

إن الخطاب النقدي يؤسس على الخطاب الإبداعي، إذا كان النص الإبداعي انعكاساً للعالم الموضوعي، أو اتصال الذات المبدعة بالموضوع[٩]، ووظيفته وظيفة شعرية جمالية، وإحداث اللحظة الجمالية عند المتلقي، نظير ما حدث لدى المبدع لحظة الإبداع، فهذا هو الخطاب الإبداعي، الذي يكون مجالاً للخطاب النقدي، فإنّ النص النقدي" هو انعكاس لانعكاس، وهو يعني (الفهم) ويؤدي إلى الموضوع المنعكس"[١٠]، وإيصاله إلى المتلقي، إذ يقف النقد وسطاً بين الخطاب الإبداعي والمتلقي، وخطابه خطاب إيصالي إبداعي في آن واحد، وهذا لا يعني السعي وراء المعنى المجدد للعمل الأدبي من جانب النقد بل " بمثابة

قراءة تأويلية للعمل الإبداعي"[١١]، وتحميله من أفكار الناقد وثقافته، لإثارة وتنشيط أفكار المتلقي، من ثم حمله على تذوق العمل وفهمه.

ويمكن القول إن الخطاب النقدي متتالية من الجمل أو مجموعة من العبارات، تصاحب الخطابات الأدبية، مهيمناً عليها في التوجه، ومتعاملاً معها للكشف عن هذه البنيات الأدبية والشعرية، ويكون موجهاً إلى كل من الأديب والمتلقي، لإيصال الرسالة على أجمل وجه ويقوم بفعل معرفي، ومن هنا يندرج ضمن الخطاب الأدبي، ولو أن النقد التقليدي منذ زمن طويل عمل" على تقديس المؤلف وجعله الفضاء الوحيد الذي يتمحور في فلك الخطاب، معتبراً إياه المرجعية الأولى لتحليل النص الأدبي وسبر أغواره"[١٢]، ولم يكن النص إلا تجلياً لمهارة أو عبقرية المؤلف، ناهيك عن دور القارئ، الذي لم يدخل ضمن التجربة النقدية إلا مؤخراً، إن النقد بشكله الجديد يولي اهتماما أكبر إلى النص بوصفه بنية قائمة بذاتها، وقد تحوّلَ بعد ظهور نظريات القراءة وجماليات التلقي، على يد الناقد الألماني هانز روبيرت ياوس ١٩٧٠م، في الانطلاق" من المعنى والعمل الأدبي وموقف المتلقي"[١٣]، كون المتلقي هو الذي يقرر الجمالية أو المعنى من خلال تأملاته للنص.

المبحث الثاني: النص بين المبدع والناقد

لعل من نوافل القول لا من فرائضه أنّ النص يرتبط ارتباطاً كلياً بشخصية مبدعه، فهو ينتج شكل نصي، يعتبر الأيقونة الأساس التي ترجم فيها شعوره، فشكل رسالة سامية بحاجة إلى تحليل يكشف مكنوناتها وتفسير يسبر دلالاتها الكامنة في ثناياها وتقويم يبرز ما تحمله في طياتها من قيم وآراء واتجاهات تبين الذات المبدعة، فالنص كرسالة ألقاها المبدع للمتلقي الذي يعد عنصراً بارزاً من عناصر العملية الإبداعية، وركناً مهماً في التفكير النقدي[١٤]، فلا تتحقق فاعلية النص إلا بالمتلقي فهو شريك إيجابي في إعادة خلق النص وحيويته[١٥]، فالناقد البارع لا بد له من توثيقها ومن ثم عرضها على قدراته وحاسته التذوقية وأدواته وأساليبه التي تنطلق من ذات النص وتعمل على إعادة شرحه ثم إلقاء النظرة الأساسية المستندة للأصول النقدية والمعايير الرئيسة لقراءة نص المبدع، فالنص في فلسفته يعتمد على الثقافة التي يتقنها المبدع ويمتلكها المتلقي، فثقافة المتلقي وتفسيراته وتحليلاته للنص، ما هي إلا المحرك الحيوي الذي يبعث على إعادة تشكيل النص بفكر ثاقب ومستنير ينم عن شخصية حضارية متطورة متذوقة خصبة الخيال ودقيقة التعبير، فالمعنى الذي ينتهي إلى

المتلقي بعد مجاهدة النفس وكد الخاطر، وإعمال الفكر والشعور وتقلبهما على وجوههما المختلفة، يكون أمكن في النفس وأعظم أثرًا فيها، وأقوى ارتباطًا بها، فلا يغيب عنها بعد ذلك؛ لأن الشيء الذي يرد إلى النفس بسرعة، يعزب عنها على عجل، والشيء الذي تطمئن إليه بعد لُأي ومشقة، لا يذهب إلا بعد هذا القدر أو أكثر(١٦)، فعملية الاتصال النقدي يمثل جوهرها النص باعتباره الصلة الرئيسة في الوصل بين المبدع والمتلقي، فالمبدع ينتج النص ويترك بصماته عليه بوهلة الأولى فلا وزر عليه، والمتلقي يستمع للنص أو يقرأه والناقد كمتلقي ويهضم النص ويفسره ويحلله مما يمكنه من إعادة تشكيله بلون جديد، فالناقد بحاجة إلى أن يحسن شيئاً من تجربة الأديب الخالق، وإلا عجز عن أن يفهم مشكلات الخلق الفني(١٧)، فيجب أن يتبين الناقد عوامل التأثير والتأثر بين لغته القومية وغيرها من اللغات ومظاهر هذا التأثير في لغته القومية(١٨)، فالأرضية الثقافية لفكر المتلقي الذي يتصدى للنص تمثل المفتاح الأساسي لبيان النص لأن النص بناء لغوي يستغل كل إمكانات اللغة الموسيقية والتصويرية والإيحائية والدالة في أن ينقل إلى المتلقي خبرة جديدة منفعلة بالحياة(١٩)، فالنص يحمل شيفرات يلقيها المبدع في ثناياه، والمتلقي يحلل هذه الشيفرات ويبحر في طبقات النص وأمواجه، ويفسرها من أجل الوصول للقيم الجمالية المبثوثة في طياته.

المبحث الثالث: مناهج قراءة النصوص في الدراسات النقدية بين القدماء والمحدثين

إن الفكر النقدي العربي القديم نجد فيه مرتكزات وأصول لغوية وتساؤلات وقضايا نقدية متقدمة، ولكنها لا ترتقِ إلى منهج أو نظرية نقدية خالدة شأنها في ذلك شأن المناهج النقدية التي تتسم بالتغير والتقلب لارتباطها بالحالة الإبداعية التي بدورها ترتبط بالحالة الثقافية وتتأثر بتطوراتها وانحطاطها، إن النقاد القدماء ركزوا على النص وعلومه فنراهم تارةً يحملونه ما لا يحتمل وتارةً يمجدونه باعتباره الشيء المقدس في القراءة التفسيرية والتأويلات التحليلية والأحكام الذوقية، فتحدثوا كثيراً عن متعلقات النص وما يقترن به من مفردات ووقائع وأحداث، وكل ذلك بغية معرفة المعنى الصادق والتأويل الصحيح وفق أسلوب ومنهج علمي نابع من الثقافة التي يكتنزها الناقد والمتلقي والأدوات القرائية التي تحوي في طياتها كثير من الإجراءات التحليلية التي قد تسهم في إعادة تشكيل النص وبلورة أفكار نقدية حوله تسهم في خلقه من جديد.

إن اللزوجة النقدية والتذبذب بين القدماء والمحدثين يوحي بحالة من التيه النقدي والتخبط الثقافي بين الأجيال العربية، ولعل ذلك فقدان التواصل الحضاري والفكري مع التراث العربي المركوز بين ألوان الثقافات في ظل تطورات العصور وما يرافقها من تغيرات على مختلف ألوان الحياة المعيشية وضروبها المتعددة، أثر بطريقة مباشرة وغير مباشرة على قراءة النص وتفسيره وتحليله وتأويله، فانتشار المذاهب الأدبية والاتجاهات النقدية والأساليب القرائية كالبنيوية والأسلوبية والتفكيكية... وغيرها، وما ارتبط بها من قضايا وآراء كفكرة موت المؤلف لبارت[٢٠]، وما لها من تبعيات على النص وعملية النقد، وما رافقها من حالة عدم استقرار نقدية يدلل على غياب استراتيجية نقدية عربية موحدة تجمع الشمل العربي بما يسهم في بلورة مشاريع نقدية وتنفيذ أفكار إبداعية وابتكار أساليب أدبية، تعزز الثقافة العربية وتعمل على تنميتها بما يحقق الأمن النقدي لها، وندرك أن النقد يختلف من شخصٍ لآخر ومن مدرسة لأخرى، ولكن يجب أن نعمل جاهدين على استشفاف استراتيجية عربية موحدة، تقوم على عدة نظريات قرائية لنصوص العربية تنطلق من تراثنا وتستفيد من عالمنا الحديث، بما يضمن تحليل أوفى وتفسير أدق يسبر مدلولات النصوص ويبين معانيها، ويساعد على إيجاد أساليب ووسائل تسهم في تحليل النصوص بطريقة سهلة تُؤدي الغرض وإن كانت متباعدة ومختلفة من ناقد لآخر ومن أسلوب إلى أسلوب ومن نظرية إلى نظرية، فالنص في عُرف القدماء والمحدثين واحد ومناهجهم غير مستقرة وأساليبهم متغيرة، وهذا يعكس حقيقة النقد وفلسفته، ويتضح أن مناهج النقد التي تصدر عن مفكرين أو فلاسفة تكون أكثر نضجاً من مناهج النقد التي تصدر عن دراسات مؤرخين، كما إنّ مناهج النقد التي تصدر عن مبدعين متفوقين واعين تكون أكثر اتصالاً وأنضج تطوراً وأبعد امتداداً من تلك التي تصدر عن مؤرخين ليس غير، ذلك أن الفلاسفة أو المفكرين والمبدعين حين يجنحون إلى النقد والتقويم يلغون المسافة بينهم وبين قلب النص ونبضه وإيقاعه وعروقه، وهم يتوحدون مع الإيقاع الداخلي للنص قبل أن يصدروا أحكامهم، بينما المؤرخون يشتطّ بهم المنحنى التاريخي ويبعد بهم عن قلب النص، فتقوم بينهم وبين النص مسافة كبيرة تخل بكثير من الأحكام وتخل بأساس كبير من أسس العملية النقدية.

المبحث الرابع: انعكاسات المناهج النقدية في الدراسات العربية عند القدماء والمحدثين على النص المبدع

إنّ العرب لم يكونوا أول من تحدثوا عن النقد، وإنما بذل علماء اللغة في النقد العربي القديم جهوداً كبيرة في تفسير النصوص ونقدها بما يتوافق مع فطرتهم وسليقتهم اللغوية الفصيحة، فنراهم ينتقدون النص وألفاظه وعباراته وتراكيبه وبيان مدلولاته، ولعل الناظر في ذلك يجد أنهم اتسعوا في مجالات النقد التطبيقي، والتي ثاروا من خلالها أصولاً نقدية ومعاييراً تحليلية وتأويلاتٍ نصية فريدة في وقتها ومتقدمة في زمانها، تنم عن وجود حس نقدي وذوق أدبي في غاية الدقة والروعة في الجمال، فالناقد العربي بثقافته المتقدمة في عصره العارف بأسرار وسيتله والخبير بأدواته التي يستخدمها من أجل فهم النص واستيعابه بما يحقق الانسجام ويبرز القيمة الأدبية والجمالية للنصوص، رسم الخطوط العريضة للاستراتيجيات القرائية للنصوص في الثقافة العربية الأصيلة، ويتضح ذلك من خلال تساؤلاتهم النقدية التي تمس النص وصاحبه، ومن ذلك حديثهم عن نظرية عمود الشعر العربي والتي تتمثل في مجموعة من التقاليد الفنية، التي كان يسير عليها الشعراء الكبار الأقدمون، وكذلك حديثهم عن قضية اللفظ والمعنى، وقضية الطبع والصنعة والوحدة، وقضية الكثرة في القصيدة، وقضية الصدق والكذب في الشعر، وقضية المفاضلة أو الموازنة بين شعرين أو شاعرين، وقضية السرقات الشعرية، وقضية العلاقة بين الشعر والأخلاق أو الشعر والدين[٢١]، وقضية المضمون والشكل، وقضية الأسلوب والنظم والصورة الأدبية، وقضية الموسيقى والإيقاع، وقضية العاطفة والخيال، وقضية الذوق الأدبي، وقضية الجمال والحلاوة والجلال، ونظرية النظم، وهذا يوحي بامتلاكهم وسائلهم الخلاقة في معرفة أساسيات الإبداع وربطه بحالة الابتكار، وتفسير النصوص من داخلها مع مراعاة ما يتصل به في العالم الخارجي المرافق له –بالطبع بصورة أو بأخرى–مهما حلق المبدع وانعتق من ربقة الحاضر فإن سمة من سماته لا بد أن تعلق بالنص، وتبقى شوائب من ألوان الحياة ماكثة حوله، وتأويلاتهم الثقافية ومناقشاتهم المعرفية التي تستلهم من فصاحتهم وسليقتهم اللغوية أصولها ومعاييرها وضوابطها، وأبرز ما ساعد النقاد العرب على ذلك الثقافة المجتمعية الحضارية التي كانت سائدة في وقتها، كانتشار الأسواق الأدبية، والتلاقح الفكري مع الثقافات الأخرى في العصور الأدبية المتلاحقة، وامتزاج العلوم والفنون والآداب

والمعارف في المجتمعات، والظروف السياسية التي دعمت الحركة الأدبية وما رافقها من قراءات نقدية استشرافية للنصوص العربية.

أما في النقد العربي الحديث فإن ساحته تعج بكثير من المناهج النقدية والنظريات التأويلية، والتي تطلع بين الفينة والأخرى، والتي تلفظها علينا الثقافات الأخرى التي باتت تغزونا في عقر دارنا، لا نستطيع أن نتجاهلها أو نغض الطرف عنها، فنجد نقاداً تعصبوا لها، ونجد آخرين وازنوا بينها وبين الأصول النقدية في تراثنا، ونجد فريقاً انغمس فيها انغماساً كلياً وكأنه يريد النقد العربي قطعة من النقد الغربي وأخذ يُنادي بأدوات انقضت آجالها في بلدانها المنشأة لها ويمجدها لأبعد الحدود، فهذه إشكالية كبيرة جرّت الكثير من التعسفات على النقد العربي والتعدي غير المسبوق على ألفاظه ومصطلحاته، وهذا يدلل على حالة التيه النقدي والتخبط الثقافي للفكر العربي المعاصر الذي يعد النقد البوصلة الأساسية الموجه له والضابطة لفنونه وتطبيقاته، أقول العنصر الثقافي للنقاد هو السلاح المعرفي بألوانه كافة وضروبه المتطورة في ظل الثورة المعلوماتية وانعكاساتها على الروح الإبداعية في النصوص العربية وتحليلاتها، فيبرز أثر الاستراتيجيات القرائية للنص في الخطاب النقدي العربي على تفسير النص وتحليله ولكن بطريقة غير منتظمة من ناحية أدائية؛ لأنها تفتقد لنظرية ولاستراتيجية، ونجد في الغالب الأعم أن الخطاب النقدي المعاصر مُتأثر بالنقد الغربي، وإن كان هناك أصواتاً تُنادي بنظريات جديدة تنطلق من علوم اللسان العربي واللسانيات الحديثة والإقرار بعلوم جديدة وأفرع معرفية معاصرة، كنحو النص الذي ظهرت فيه دراسات جادة جديدة، وكذلك اللسانيات العربية الحداثية التي أغنت الثقافة النقدية بسيل عرم من الوسائل والأدوات وأغدقت عليها كثير من التقنيات والتطبيقات اللغوية، فوجب استثمارها من أجل تنمية نقدية بشقيها النظري والتطبيقي، تُراعي الأصول النقدية في العربية التي ابتكرها القدماء والمحدثين من علماء العربية.

المبحث الخامس: فلسفة علمنة النقد في الدراسات النقدية العربية في ضوء معطيات علم النص وتحليل الخطاب(رؤية ومقترح)

من النُّقاد مَنْ حاول الجمع بين القديم والجديد، فحذق من القديم متانة الأسلوب، وطلاوة العبارة، ووضوح الغرض، وأخذ من الجديد حسن العرض، وطرافة الموضوع، أما الفكرة فتارةً يأخذها من هنا، وتارةً يأخذها من هناك[٢٢]، إن التخبط النقدي الذي تشهده الساحة العربية،

في ظل تطور التقنيات النقدية مع الانفجار المعرفي وانفتاح النصوص في دلالاتها وتعدد التأويلات القرائية لها، يحتم علينا إيجاد نظرية نقدية عربية كبرى تستند إلى فلسفة استراتيجية نقدية تستمد أصولها من المعايير النقدية الموجودة في تراثنا اللغوي العتيد، والتي استفاض علماؤنا في مناقشتها مناقشات متنوعة، والاستفادة من الثورة المعلوماتية والانفجار المعرفي الذي شمل مناحي الحياة كافةً، وهذا أثر على المبدع وإنتاجاته، وعلى القارئ وأدواته الاستيعابية، وعلى الناقد وتحليلاته وتأويلاته وأحكامه.

إن الناقد الحق يلزمه بناء فلسفي واضح حتى يستطيع أن يقوم بمهمة الحكم على العمل[٢٣]، فهذه الاستراتيجية التي يندرج تحتها أساليب ونظريات نقدية مستوحاة من عمق الثقافة النقدية العربية وفلسفتها وتطبيقاتها، يجب أن تنطلق من النص باعتباره جملة من العبارات لها دلالاتها التي تشكل تراكيب ترتبط بالحالة الإبداعية وتتزامن معها بطريقة مباشرة وغير مباشرة قد لا يشعر بها الأديب عند عملية الخلق الإبداعي، وعدم تجاهل جو النص الذي يكشف عن وقائع ميلاد الإبداع والحالة الشعورية التي يمر بها المبدع عند ابتكار النص، وليس معنى ذلك تحميل النص ما لا يحتمل، إنما هذه هي الصورة الحقيقية والأصيلة التي فيها تم مخاض النص ولحظة ولادته ومن ثم إخراجه، فهذا يسهم في رسم الملامح الرئيسة لعملية قراءة النص بالمناهج والاستراتيجيات التقليدية والحديثة المختلفة ، بغض النظر عن فلسفتها، فهي في النهاية طريقة لقراءة النص وسبر مدلولاته وبيان قيمه الجمالية ومميزاته وعيوبه، ولعل المعول الأصيل في ذلك هو ثقافة الناقد المتذوق وواسع الاطلاع، ملماً بكامل أدوات الصنعة والصياغة التي يستخدمها الأديب في إبداع النص[٢٤]، الذي يتولى بيان جماليات النصوص وما تكتنزه من معانٍ، وما تشمله في طياتها من أفكار وقيم واتجاهات، فوجب التركيز على إعداد الناقد الذي يتحصن بثقافة وافرة تجمع شتى العلوم وضروب المعارف وأنواع الفنون ومختلف الآداب، وترتبط هذه الفلسفة الاستراتيجية بالإجراءات الأساسية لأصول النقد الأدبي، التي يجب على الناقد الإلمام بها ومعرفتها وسبر أغوارها، وذلك وفق الأساليب النقدية الآتية:

المطلب الأول: أساليب نقد النصوص في الاستراتيجية التي نُريدها

إن النقد يعتمد على تذوق النص، فمتى امتلك الناقد الذوق السليم استطاع أن يقرأ النص قراء فاحصة مستبصرة لرموزه وعباراته وألفاظه وتراكيبه، نود الإشارة إلى أن هذه الطرق والأساليب لا تعدو في كونها نابعة من وحي عمليات النقد، ويمكن بيانها فيما يأتي:

١. توثيق النص إقامته في صورته الصحيحة بعناصره الفنية والموضوعية، وشكله السليم غير المبتور ولا المشوه، وأن يبقى كما هو عندما يصدر عن المبدع بدون تحريف وتصحيف وتغيير، ليتمكن الناقد من تحديد جنسه الذي ينتمي إليه، وفصيلته التي اشتق منها.

٢. تفسير النص، إن عملية التفسير التي يقوم بها الناقد تكشف للقارئ عن كل ما يمكن أن نسميه إمكانات العمل الأدبي، ومهمة عملية التفسير التي يقوم بها الناقد هي أن تخلق صلة بين العمل الأدبي والقارئ، وأن تقربه من نفسه[٢٥]، تحليل النص وتفسيره وقراءة بالمناهج النقدية المتاحة التي تعتمد أساساً على ثقافة الناقد المستمدة من تراثنا اللغوي والنقدي العتيد، لا أن يعتمد اعتماداً كلياً على المنتجات النقدية الغربية التي تمثل روح ثقافة تلك المجتمعات– وأن يكون مستهلكاً معنوياً– بل وجب التركيز على التراث العربي واستشارة عيونه وكنوزه واستخراج صدفه وللآلئه، ونأخذ من أدوات النقد الغربي ومناهجه ما يتوافق مع فقهنا اللغوي وأعرافنا النقدية؛ لأن عصرنا الحالي اتّسم بالانفتاح الحضاري على مختلف الأمم والشعوب، فتعددت تقنياته وتنوعت برمجياته اللغوية وأصبحت المعرفة وضروبها في كل مناطق العالم كافةً، فوجب استثمار المعرفة والثقافة في حقول النقد العربي، والتدرب على كيفية إدارة المعرفة النقدية بما يسهم في بلورة استراتيجية نقدية تحقق النظرة الشاملة للنص العربي.

٣. النظر إلى النص على أنه يشكل وحدة كبرى متكاملة، تقوم على عناصر مجتمعة، تتمثل في الترابط والتماسك والانسجام.

٤. إعادة التشكيل وبناء النص من جديد، وليس معنى ذلك خلق النص من ذي قبل، وإنما هذه طريقة تأويلية ونظرية من نظريات التلقي، تنم عن وجود حس أدبي وتفاعل تمام مع النص واندماج واضح مع عباراته مما ينمي الذوق ويرهف الحس ويخصب الخيال ويوسع آفاق النص وتأثيراته.

٥. تقويم النص وإصدار الأحكام النقدية له، فالنقد الصريح الصحيح يحتاج إلى شجاعة أدبية قوية من الناقد ورحابة صدر من المنقود[٢٦]، كما أنه يحتاج لثقافة ومعرفة بفنون العربية والعلوم الأخرى.

إن الفلسفة النقدية العربية حول قراءة النصوص عند القدماء، ركزت على النص سواء أكان ذات النص أم جوه، فكل هذا متعلق بالنص، فاتجه المحدثون إلى اتخاذ النص المنطلق الأساس لعملية النقد، فنستطيع القول بأن الفلسفة النقدية العربية يجب أن تنطلق من المقومات الرئيسية للعمل النقدي في الكشف عن بنية النصوص ودلالاتها وما تكتنزه من معانٍ وقيم وأفكار، والمتمثلة في التحليل والتفسير والتقويم[٢٧] مع الاستفادة من الإجراءات النقدية المتوفرة في الثقافة العربية واستثارة كنوز تراثها وفكرها القديم والحديث، وتطويع الفكر الحضاري في ظل الانفجار المعرفي والثورة المعلوماتية في مناحي الحياة كافةً.

المطلب الثاني: توصيات من أجل إيجاد فلسفة استراتيجية نقدية

إن الفلسفة تمكن النقاد من تحديد الرؤية التي يطمحون إليها وتسهم في رسم استراتيجية تحوي المناهج والأساليب التي تتوافق مع أهدافها ورسائلها ومساعيها، وهذه توصيات من أجل المساهمة الفاعلة في دعم إيجاد فلسفة نقدية عربية، وذلك على النحو الآتي:

١. الناقد في محاولة تحليل العمل وتفسيره يرتبط بالنص ارتباطاً مباشراً وأساسياً، فيجب أن تكون تحليلاته وأحكامه ومعاييره النقدية مستمدة من ذلك النص في لغته وبناءه وشكله ورموزه دون تعسف في التفسير والتأويل[٢٨].

٢. ضرورة التعمق في تحليل النصوص من داخلها مع مراعاة متعلقات النص، فالنقاد القدماء كابن سلام وابن قتيبة و الآمدي والقاضي كانت كتاباتهم النقدية متفاوتة، تكتسب قيمتها كلما اقتربت من النص وانطلقت منه.

٣. تضافر الجهود النقدية والعمل بشكل جماعي لا فردي، والاستفادة من عصر السرعة وما فيه ومن تطبيقات إلكترونية وبرمجيات حاسوبية ومبتكرات حداثية وإنجازات حضارية ومعارف ثقافية، والإحاطة بالمدارس النقدية ومناهجها وأساليبها وأدواتها ووسائلها وأسسها واتجاهاتها ومظاهر تأثرها ببعضها.

٤. ضرورة استثارة عيون التراث العربي والذخائر النفيسة التي يحويها، والكشف عما تكتنزه في ثناياها وإفراده بدراسات متعمقة حديثة تستخدم الأساليب العلمية المتطورة في البحث المعرفي، لأن مكانتنا بين الأمم مرتبطة بحفاظنا على هويتنا النقدية التي تعبر عن وجهة نظرنا، فقصور هممنا اتجاه التراث يعيق تحقيق التنمية النقدية للفكر العربي، فلو تواصلنا مع تراثنا؛ لأصبح لدينا منهج عربي في تحليل النصوص وتفسيرها بدلاً من "الترقيع" الذي يعتمد على الاقتباس من الاتجاهات الأجنبية دون أن تجد هذه المقتبسات تربة ملائمة لاستنباتها وتنميتها وتلاحمها مع النسيج العربي، فتبقى هذه المقتبسات أجساماً غريبة في جسم الثقافة العربية(٢٩).

٥. التركيز على التنمية اللغوية وصقل مواهبها وقدراتها، وذلك من خلال التوسع في القراءة والإطلاع المستمر على ما استجد من أنواع المعرفة والعلوم والفنون والآداب.

٦. نحن بحاجةٍ إلى وضوح الشخصية الثقافية واستقلالها وتميزها؛ لأن هذا يتيح لنا معرفة ما يمكن قبوله وما لا يمكن قبوله، وما يلائم وما لا يلائم، فالثقافات ذات الشخصية المستقلة يتجاوب بعضها مع البعض الآخر، وتفيد كل منها من الأخرى، وعندما تستفيد شيئاً تهضمه وتصبغه بصبغتها هي ويصبح من مميزاتها، وكل ذلك يؤثر على عملية نقد النصوص في خطاباتنا العربية.

٧. تفعيل عملية تعريب العلوم الحديثة وترجمتها من خلال التنسيق بين المجامع والمؤسسات والجمعيات والهيئات واللجان والمراكز اللغوية الرسمية والأهلية، وذلك للنهل من الثقافات الأخرى –لا سحقها– والاستفادة من علومها وفنونها وآدابها.

٨. تنمية الذوق العام للمجتمعات العربية، وذلك بنشر علوم اللغة العربية ودعمها، وفتح الآفاق أمام الجمهور العربي، للمشاركة في تشكيل الفكر الثقافي للأمة والعمل على نشره بين أبناء المجتمعات الأخرى.

٩. إعداد برامج ورسم خطط وإجراء دراسات مسحية نقدية لأصول التفكير الناقد في المجتمعات العربية، للتمكن من التعرف على العوامل المؤثرة في النقد العربي في الخطاب النقدي.

١٠. توفير الدعم المادي والتشجيع المعنوي لأصحاب الإبداع في المجالات كافة، وتبني قدراتهم، مما يسهم في تحقيق حركة نقدية عربية، تتولد من خلالها نظريات وقواعد ومبادئ تقود إلى رسم ملامح نقدية جديدة.

١١. تنظيم حملات تثقيفية توعوية في كل المجالات وعلى مختلف المستويات، وفق استراتيجية وطنية يسير العالم العربي وفقاً لها، مع تقييمها من وقت لآخر، لمعرفة نتائج وقائعها لنسج الاستراتيجية النقدية التي تعتمد اعتماد كلي على العقل الذي يخاطب الأفكار والعواطف التي تناجي الذوق الجمالي.

وفي الختام هذا البحث أطلق إضاءات من شأنها أن تسهم بصورة أو بأخرى في إيجاد فلسفة نقدية لعلمنة النقد العربي على أساس ثقافي بحث، فالأزمة التي نعاني منها أزمة ثقافية في فكرنا الحديث، فتوفرت لنا إمكانات فريدة مع وجود تحديات كبيرة، توجب علينا أن نكون واعين أشد الوعي في رسم حدود العملية النقدية ومتعلقاتها، وعلى ذلك لم يعد للتفكير الفردي سبيل مؤثر بدرجة كبيرة في ظل متغيرات العصر الحديث، الذي يعد إحدى سماته البارزة التفكير الجماعي الواعي.

النتائج والتوصيات

توصل هذا البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، وذلك على النحو الآتي:

١. امتلكت العرب ناصية الخطاب النقدي، وتعددت عندهم وسائل استقراء النصوص وطرق التحليل المبنية على قواعد أساسية في التعامل مع جماليات النصوص ومدلولاتها.

٢. يعتمد النقد الأدبي على تذوق النصوص والكشف عن مضامينها الجمالية ورسائل نصوصها وعناصر الإبداع فيها من خلال أنسجتها وتراكيبها اللغوية التي تحوي في طياتها كثير من الشيفرات الدلالية المركوزة في أبنية النصوص، وذلك وفق منهجية نقدية تلبي حاجات العصر ومتطلباته.

٣. علمنة النقد الأدبي ترتبط بعمليات علمية معرفية مبنية على أسس واضحة تعبر عن فلسفة نحتاج إليها في ظل التخبط النقدي في التعامل مع النصوص وتحليلاتها، وهذه العمليات هي التحليل والتفسير والتقويم متداخلة في بعضها البعض.

٤. تحتاج علمنة النقد إلى توفير ثقافة معرفية متنوعة لمن يتصدى لعملية النقد، لذا وجب على الناقد أن يتسلح بالثقافة والمعرفة في ظل الانفجار المعلوماتي والثورة الرقمية التي لم تعد حكراً على أحد.
٥. الاستراتيجيات النقدية المطروحة على الساحة العربية والأجنبية، لا تعدو عن كونها استراتيجيات وطرق ومناهج قرائية للنصوص ومشكلاتها الأساسية، فما نحن بصدده ونرجو العمل الجدي في تحقيقه، هو بناء نقدنا على أسس علمية واضحة تعبر عن قيم شخصيتنا القويمة وأساليب تعابيرها الخلاقة.
٦. تنمية النقد في ظل المتغيرات المعاصرة التي لحقت بنصوص العمل الإبداعي، تحتم على من يتصدى للنقد أن يكون متمكناً من إدارة المعرفة والثقافة الوافدة وضبطها وفق معايير ثقافتنا العربية وأخذ ما يناسبنا منها، ونكون بذلك أنتجنا ثقافة معاصرة تستحق الاهتمام وجمعت بين الأصالة والحداثة.
٧. تعزيز التعاون والتنسيق وتوحيد الجهود المبذولة على الساحة النقدية في العالم العربي من أجل بناء استراتيجية لنظرية عربية كبرى تكون واضحة المعالم والرسوم، تعمل على استقطاب الأعمال الإبداعية والنقدية في مختلف الثقافات وصبغها بثقافتنا العربية والإسلامية.
٨. ضرورة إنشاء مجمع نقدي عربي يهتم بمناقشة القضايا الإبداعية ورعاية الأعمال والأبحاث والدراسات النقدية.

Abstract

Towards a Critical Philosophy for the Modernization of Arab Monetary Studies in the Light of Data Text and speech science

Keywords: (critical philosophy - the curriculum of monetary (studies - criticism and rhetoric

a. Hussein Omar Darawshe
University of gaza, college of Arts: Palestine
hussien2013333@hotmail.com
Abdul Karim Hussain Al Sharaa
University of Al-Albayt: Jordan
abdalkareem.shra@yahoo.com

This research calls for a critical philosophy for the secularization of the curricula of Arabic monetary studies in the light of the data of text

science and analysis of the discourse, drawing a vision and building a proposal to achieve a strategic monetary philosophy that serves Arab studies in one form or another by highlighting the concept of text and critical discourse, The relationship between the text between the author and critic, and talk about the methods of reading texts in the critical studies between the ancients and modernists, and reflect the implications of the monetary curricula in the Arab studies of the ancients and innovators on the creative text, and then clarify the features of the philosophy of secularism criticism in the Arab monetary studies in Z The study aims at developing a strategic critical philosophy for the secularization of curricula in Arab monetary studies in the light of textual and speech analysis data, research results and recommendations, research notes, and a catalog of sources and references.

الهوامش

(١)انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت ١٩٨٩م، ص١٢.

(٢) بنية اللغة الشعرية، كوهن جان، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، الدار البيضاء ١٩٨٦م، ص١٧٣.

(٣) مقالات في الأسلوبية، منذر عياشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٠م، ص١٢٣.

(٤) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، الشركة المصرية العالمية– لونجمان، ومكتبة لبنان ناشرون، ط١، القاهرة و بيروت ١٩٩٦م، ص ٣٠٧.

(٥) انفتاح النص الروائي، مرجع سابق، ص١٦.

(٦) تحليل الخطاب الشعري(إستراتيجية التناص)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي،ط١، الدار البيضاء ١٩٨٦م، ص١٤٦.

(٧) انفتاح النص الروائي، مرجع سابق، ص١٦.

(٨) انفتاح النص الروائي، مرجع سابق، ص٣١.

(٩) مسألة النص، ميخائيل باختين، ترجمة: محمد مقلد، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت ١٩٨٤م، ص٤٥.

(١٠) المصطلحات الأدبية الحديثة، محمد عناني، الشركة العالمية للمصرية ، ط٣، مصر ٢٠٠٣م، ص٤٤.

(١١)الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب، فرحان الحربي، المؤسسة الجامعية، ط١، بيروت ٢٠٠٣م، ص٤٦.

(١٢) التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر، بشير تاوريرت وسامية راجح، دار رسلان، دمشق ٢٠١٠م، ص٤٤.

(١٣) فلسفة الجمال في فضاء الشعرية العربية المعاصرة بحث في آليات تلقي الشعر الحداثي، عبد القادر عبو، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٧م، ص٩٣.

(١٤) مناهج تحليل النص الأدبي، إبراهيم السعافين وآخرون، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط١، عمان ١٩٩٣م، ص٢٤.

(١٥) التركيب اللغوي للأدب (بحث في فلسفة اللغة والاستيطيقيا)، لطفي عبد البديع، دار المريخ، الرياض ١٩٨٩م، ص١٧٤.

(١٦)الصورة الأدبية تاريخ ونقد، علي صبح، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ص١٧١.

(١٧) النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ستانلي هايمن، ترجمة: إحسان عباس، دار الثقافة، ط١، بيروت ١٩٦٠م، ص١٧٧.

(١٨) اتجاهات النقد الأدبي من الجاهلية إلى نهاية القرن الرابع الهجري، منصور عبد الرحمن، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٩م، ص١٠.

(١٩) الأدب وفنونه – دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط٨، القاهرة، ص٢١.

(٢٠) مناهج تحليل النص الأدبي، مرجع سابق، ص٢٣.

(٢١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الثقافة، ط٤، بيروت ١٩٨٣م، ص٢٤ و مناهج النقد الأدبي عند العرب، هشام ياغي وآخرون، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط١، عمان ١٩٩٧م، ص١٣٥.

(٢٢) في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة ٢٠٠٠م، ١/٥.

(٢٣) الأدب وفنونه – دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط٨، القاهرة، ص٤٤.

(٢٤) موسوعة الإبداع الأدبي، نبيل راغب، الشركة المصرية العالمية–لونجمان، ط١، القاهرة ١٩٩٦م، ص٥.

(٢٥) الأدب وفنونه – دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط٨، القاهرة، ص٢٢.

(٢٦) المعارك الأدبية، أحمد أنور الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٣م، ص٢٩٦.

(٢٧) دراسات في النقد الأدبي، حماد أبو شاويش، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس ١٩٩٩م، ص٨.

(٢٨) مقدمة في النقد الأدبي، محمد عبد الله، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٤م، ص٩٥.

(٢٩) اللغة وبناء الشعر، حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة ١٩٨٦م، ص٢٤.

المصادر والمراجع

- اتجاهات النقد الأدبي من الجاهلية إلى نهاية القرن الرابع الهجري، منصور عبد الرحمن، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٩م.
- الأدب وفنونه – دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط٨، القاهرة.
- الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب، فرحان الحربي، المؤسسة الجامعية، ط١، بيروت ٢٠٠٣م.
- انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت ١٩٨٩م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، الشركة المصرية العالمية– لونجمان، ومكتبة لبنان ناشرون، ط١، القاهرة و بيروت ١٩٩٦م.
- بنية اللغة الشعرية، كوهن جان، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، الدار البيضاء ١٩٨٦م.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الثقافة، ط٤، بيروت ١٩٨٣م.
- تحليل الخطاب الروائي(الزمن– السرد– التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت ٢٠٠٥م.
- تحليل الخطاب الشعري(إستراتيجية التناص)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي،ط١، الدار البيضاء ١٩٨٦م.
- التركيب اللغوي للأدب (بحث في فلسفة اللغة والاستيطيقيا)، لطفي عبد البديع، دار المريخ، الرياض ١٩٨٩م.
- التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر، بشير تاوريرت وسامية راجح، دار رسلان، دمشق ٢٠١٠م.
- دراسات في النقد الأدبي، حماد أبو شاويش، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس ١٩٩٩م.
- الصورة الأدبية تاريخ ونقد، علي صبح، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- فلسفة الجمال في فضاء الشعرية العربية المعاصرة بحث في آليات تلقي الشعر الحداثي، عبد القادر عبو، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٧م.
- في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة ٢٠٠٠م.

- اللغة وبناء الشعر، حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة ١٩٨٦م.
- مسألة النص، ميخائيل باختين، ترجمة: محمد مقلد، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت ١٩٨٤م.
- المصطلحات الأدبية الحديثة، محمد عناني، الشركة العالمية للمصرية ، ط٣، مصر ٢٠٠٣م.
- المعارك الأدبية، أحمد أنور الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٣م.
- مقالات في الأسلوبية، منذر عياشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٠م.
- مقدمة في النقد الأدبي، محمد عبد الله، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٤م.
- مناهج النقد الأدبي عند العرب، هشام ياغي وآخرون، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط١، عمان ١٩٩٧م.
- مناهج تحليل النص الأدبي، إبراهيم السعافين وآخرون، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط١، عمان ١٩٩٣م.
- موسوعة الإبداع الأدبي، نبيل راغب، الشركة المصرية العالمية–لونجمان، ط١، القاهرة ١٩٩٦م.
- النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ستانلي هايمن، ترجمة: إحسان عباس، دار الثقافة، ط١، بيروت ١٩٦٠م.